دراسة في الأقسام البشرية في يوم القيامة

الدكتور رضا كشاورز
الأستاذ المساعد في قسم المعارف الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نيشابور، نيشابور، إيران
keshavarz@neyshabur.ac.ir

The Study of Groups of People in the Resurrection Day

Reza Keshavarz
Assistant Professor , Department of Islamic Knowledge , Faculty of letters and humanities , University of Neyshabur , Neyshabur , Iran

الملخص:-

الانسان في خلال حياته يمر بمنازل عدة ليبلغ مراحل حياته المختلفة. احدى هذه المنازل التي لها الاثر الاكبر في حياة الانسان هي الموت. الموت هي الحالة التي تخرج الروح من الجسد وتتحرر منه و بناءا علي اعمال الانسان فانها ستكون في حالات متباينة من نظر الصعوبة أو سهولة قبض الروح. البعض ياخذ الموت بمعنى نهاية الحياة والفناء المطلق بينما التعاليم السماويه تبين ان الموت مجرد مرحله انتقالية من هذا العالم إلى عالم آخر حيث بها يغلق دفتر عمر الانسان في هذه الحياة وينتقل إلى عالم آخر.

يقسّم الناس في العالم الآخر إلى ثلاثة اقسام، و لكل منهم صفات خاصة: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمخلصين. يحاول الباحثان تبيين اضراب الناس يوم القيامة وصفاتهم مع استخدام منهج ديني.

الكلمات المفتاحية: الاقسام البشرية يوم البعث، أصحاب اليمين، أاصحاب الشمال، السابقون المقربون، المخلصون.

ABSTRACT:-

Man passes different stages during his life journey. One of these stages that plays an important part in his life is death. Death is a stage in which soul departs from the body. Soul departure ranges from very easy to very difficult stages depending on one's deeds.Some people view death as the end of life and complete destruction. According to Islam, however, death is only a transfer from this world to the other one, which ends his worldly life. It is obvious that people are classified in different groups in the Resurrection. This paper is going to specify the number and features of these classes. According to this survey, in the Resurrection people will be classified in three main groups known as: the Companions of the right, the Companions of the Left and the Devoted.

Keywords: the groups of people, the Companions of the right, the Companions of the Left and the Outstrippers, the Devoted.

المقدمة:-

القيامة حدث لا مفر منه، كما أن العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث والروايات تدل على يقينها وتؤكد على يقين هذا الأمر. بالإضافة إلى دين الإسلام، أكدت ديانات سماوية أخرى القيامة. عند القيامة وبعد قيام ساحة القيامة، ينقسم البشر إلى فئات مختلفة حسب الأعمال التي قاموا بها في العالم، مثل رفقاء الشمال، وأصحاب الصالحين، والمخلصين. لا يرى أوجه القصور. ولكن من المهم في القيامة أن يوضع البشر في عدة مجموعات حسب أعمالهم الدنيوية، وما يحدد لهم من ثواب وعقاب على أساس وجودهم في تلك المجموعة، هو أحد الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة أن تطرحها. إجابه. حقق الحق في ذلك.

عرض المشكلة

إن الإيمان بالقيامة والقيامة من أهم مبادئ الإسلام والديانات السماوية الأخرى، والتي بموجبها يقوم كل إنسان بعد الموت ويعاقب على أفعاله. على الرغم من أن مبدأ القيامة ثابت لأسباب عقلانية وسردية، إلا أنه لا يمكن فهمه من قبل الحواس الخارجية. لذلك يمكن القول أنه لا توجد طريقة أخرى لفهم الآخرة إلا الوحي. جدير بالذكر أنه في كثير من الأديان السماوية يذكر وجود العالم بعد الموت وانقسام البشر إلى مجموعات مختلفة ووجودهم في الصحراء، ولكن في دين الإسلام، الاعتماد على الآيات والأحاديث، أوضح ويتم تقديم صورة أكثر دقة عن هذا التقسيم. كان. وبهذه المناسبة سنشرح البعد الدلالي ونبين هذه الدقة والرقة في تصنيف الجماعات البشرية في الإسلام.

المعاد لغةً وإصطلاحاً:

المعاد مصدر عاد يعود، يقال: عاد يعود عَوْداً ومَعاداً- بفتح ميمه. وأصله (مَعْوَد) على زنة (مَفْعَل) قلبت واوه ألفاً؛ وهو يعني الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إمّا انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة... كما يقول الله سبحانه تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾. (السجدة، ١٢)

كما تكون الإعادة بمعنى الإرجاع من نفس هذه الأسرة. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾. يعني وجود كل شيء وحياته وحصته إلى الوقت المعلوم من عند الله وعندما يصل إلى نهايته لا يزول ولا تبطل الرحمة الإلهية التي تسببت في الوجود والبقاء. تعني إزالة الكائن أن الله يجذب رحمته الواسعة إليه، وأن ما منحه الله وأعطاه هو وجهه، وأن "وجه الله" غير قابل للتدمير والإزالة؛ لذلك فإن نهاية حياة الكائنات ليست فنائها وبطلانها، بل رجوعها إلى الله، وبالتالي لا يوجد شيء إلا البسط والقبض. وبعبارة أخرى يخلق الله مع بسط رحمته وهذا البسط والقبض هو المعاد التي قد وُعِدَ لنا. ولهذا قد أُستُخدِم كلمة ((المعاد)) بمعنى العودة أو العالم الآخر. (الشعراني، ١٣٧٤: ١٩٧) يقول علي أكبر قرشي: إن معاد مصدر ميمي و اسم زمان و مكان. وقد اشتق من ((عود)) بمعنى الرجوع كما ينقل عن الطبرسي ويقول: ((العود)) بمعنى الرجوع وعيادة المريض أي الرجوع إليه لإستفسار أحواله. (قرشي، ١٣٧٦: ٥/ ٦٦) ويقول الراغب الاصفهاني: ((والمعاد يقال للعود وللزمان الذي يعود فيه، وقد يكون للمكان الذي يعود إليه.)) (آشتياني، ١٣٧٩: ٥٢٨).

أقسام الناس الثلاثة في يوم القيامة:

قسم الله تعالى في القرآن الكريم الناس إلى ثلاث أقسام من حيث كيفية المجازاة يوم القيامة:

١ـ أصحاب اليمين:

هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن و قيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر عليه السلام نحن وشيعتنا أصحاب اليمين. (الطبرسي،١٣٧٢: ٥٩١/١٠). يقول الطبري عنهم: ((الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة)). (الطبري،١٤١٢ ق: ٩٨/٢٧).

وذكر الشيخ الطوسي ثلاثة أقوال عن وجه تسمية أصحاب اليمين وهي:

- هم الذين أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.
- أخذت يدهم اليمني ويتجهونهم إلى الجنة.

- هم أصحاب البركة.

(الشيخ الطوسي، ١٤١٦: ٩/ ٤٩٥)

الآيات القرآنية تصف مكانة هذا القسم هكذا:

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعه: ٢٦- ٣٧)

قد نقل عن علي بن إبراهيم القمي في تفسير نور الثقلين أن المراد من أصحاب اليمين هم أصاحب الإمام علي عليه السلام. (الحويزي، ١٤٥١ ق: ٥/٥٨٤).

وفي مكان آخر توصف حالة من سلمت كتابه إلى يمينه على النحو التالي:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (الحاقة /١٩) وكلمة ((أمّا)) تفصل بالاجمال دائماً، وهنا تشرح معنى عبارة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ (الانشقاق/٦)، وذلك للدلالة على الرجوع ومحاسبة الاعمال والحساب ثم تشرحها بالاجمال فيقول: لكن الذين يسجلون أعمالهم إلى يمينهم في ذلك اليوم يصيرون كذا وكذا، ومعنى الكتاب، هو كتاب الاعمال، لأنه قد ذكر المحاسبة والحساب بعده.

هذه الآية والآيات التي ذكرت بعدها، تشرح شرحاً كاملاً عن إختلاف أحوال الناس في يوم القيامة سعادةً وشقاوةً. يبدو الخطاب في آية ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ﴾، الملائكة ومعني الآية تكون هكذا: ((أما من أوتي كتابه بيمينه يتجه إلى الملائكة ويقول تعالوا وخذوا كتاب أعمالي ثم إقرؤوا كيف يحكم سعادتي. وبالتالي قامت بشرح أحوالهم وتقول: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة ٢١ - ٢٤) لهذا الشخص في الجنة مكانة عالية وله لذة فيها لا تراها عينٌ ولا تسمعها أذنٌ ولا يخطر في قلب شخص. فواكهها هناك متاح لأهل الجنة، ويقطفون بغير مشقة، فيقال: متى أراد العبد في الجنة فاكهة، ينحني غصن تلك الشجرة نحوه، وينفصل الثمر عن الشجرة فيصير متاحاً له

وذلك قوله تعالى ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (الحاقة /٢٣) ثم ناداه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الطباطبايي، ١٣٧٤: ٦٦١/١٩).

يقول الله سبحانه وتعالى في آيايتي ٣٨ و ٣٩ سورة المدثر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾. كلمة ((رهينة)) بمعنى الرهن كما قال الزمخشري في الكشاف: رَهِينَةٌ ليست بتأنيث رهين في قوله ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لتأنيث النفس، لأنه لو قصدت الصفة لقيل: رهين، لأنّ فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر و المؤنث، و إنما هي اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم. (الزمخشري، ١٤٠٧: ٤ / ٦٥٤).

ومعنى هذه الجملة هي: ((بين سبحانه فيها أن كل نفس مرهونة يوم القيامة بما كسبت من الذنوب، مأخوذة بما أسلفت من الخطايا إلا أصحاب اليمين فقد فكوا من الرهن و أطلقوا و استقروا في الجنان، ثم ذكر أنهم غير محجوبين عن المجرمين الذين هم مرهونون بأعمالهم، مأخوذ عليهم في سقر، يتساءلون عنهم سلوكهم في النار، و هم يجيبون بالإشارة إلى عدة صفات ساقتهم إلى النار، فرع على هذه الصفات بأنه لم ينفعهم لذلك شفاعة الشافعين.)) (الطباطبايي، الميزان في تفسير القرآن: ١٥٢/٢٠).

وكان العناية في عد كل نفس رهينة أن لله عليها حق العبودية بالإيمان والعمل الصالح فهي رهينة محفوظة محبوسة عند الله حتى توفي دينه وتؤدي حقه تعالى فإن آمنت وصلحت فكت وأطلقت، وإن كفرت وأجرمت وماتت على ذلك كانت رهينة محبوسة دائما، وهذا غير كونها رهين عملها ملازمة لما اكتسبت من خير و شر كما تقدم في قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور ٢١). والآية في مقام بيان وجه التعميم المستفاد من قوله: ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ فإن كون النفس الإنسانية رهينة بما كسبت يوجب على كل نفس أن تتقي النار التي ستحبس فيها إن أجرمت ولم تتبع الحق. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ هم الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم الحساب وهم أصحاب العقائد الحقة والأعمال الصالحة من متوسطي المؤمنين، وقد تكرر ذكرهم وتسميتهم بأصحاب اليمين في مواضع من كلامه تعالى، وعلى هذا فالاستثناء متصل. والمتحصل من مجموع المستثنى منه والمستثنى انقسام النفوس ذوات الكسب إلى نفوس رهينة بما كسبت و هي نفوس المجرمين، و نفوس

مفكوكة من الرهن مطلقة و هي نفوس أصحاب اليمين، و أما السابقون المقربون و هم الذين ذكرهم الله في مواضع من كلامه و عدهم ثالثة الطائفتين و غيرهما كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً - إلى أن قال - وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾: (الواقعة: ١١)، فهؤلاء قد استقروا في مستقر العبودية لا يملكون نفسا و لا عمل نفس فنفوسهم لله و كذلك أعمالهم فلا يحضرون و لا يحاسبون قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: (الصافات: ١٢٨)، فهم خارجون عن المقسم رأسا. و عن بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالملائكة، وعن بعضهم التفسير بأطفال المسلمين و عن بعضهم أنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق، وعن بعضهم أنهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وهي وجوه ضعيفة غير خفية الضعف. (الطباطبايي، نفس المصدر، ٢٠/ ٩٦).

يمكن يطرح هذا السؤال: بأيّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة تتعلق درجات الأبرار والسابقين المقربين والفجار وأصحاب المشئمة الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم؟ يجب أن نقول أنّ الأبرار هم الذين قد أوتي كتاب أعمالهم بيمينهم ويشربون من كأس إمتزج برائة مسك ويشربون منه عباد الله المخلصين وهم يجرونه وهم يشربون من أي مكان يريدون. بعبارة أخرى أصحاب الجنة هم مفجرو العين. (الطبرسي، نفس المصدر؛ ٢٦/ ١٥٩) و ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الانسان٥و٦). كما يقول سبحانه تعالى في آية أخرى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. (مطففين/٢٦-٢٤)

٢ـ أصحاب الشمال:

الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم و النكد. (الطبرسي، نفس المصدر، ٢٤/ ١٦١) هذا القسم هو الذي يؤتي كتاب أعمالهم بشمالهم ثم يقولون: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ (الحاقة/ ٢٥) و هؤلاء يتمنون أن لو لم يكونوا يؤتون كتابهم و يدرون ما حسابهم يتمنون ذلك لما يشاهدون من أليم العذاب المعد لهم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان/٢٧-٢٨).

وذكر في آيات أخرى:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين، ١٧ - ٧) فسياق الآيتين يعطي أن المراد به حجاب الحرمان من الكرامة لا حجاب الجهل أو الغيبة. (الطباطبائي، نفس المصدر، ٢٠/ ١٦٨)

ثم ذكر في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾. (الانفطار: آيه ١٦ - ١٤) كما قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الواقعة: ٤٧ - ٤١) ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة: ٥٦ - ٥٢). مصطلح (نزل) كما قلنا سابقا بمعنى الوسيلة التي يكرمون بها الضيف العزيز، و تطلق أحيانا على أوّل طعام أو شراب يؤتى به للضيوف، و من الطبيعي أنّ أهل النار ليسوا ضيوفاً، و أنّ الزقّوم و الحميم ليس وسيلة لضيافتهم. بل هو نوع من الطعن فيهم، و أنّه إذا كان كلّ هذا العذاب هو مجرّد استقبال لهم، فكيف بعد ذلك سيكون حالهم؟ (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤: ٢٣/ ٢٣٨)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ (البلد/ ٢٠ - ١٩) وقال الحويزي في تفسير نور الثقلين: ((في تفسير عليّ بن إبراهيم قوله: أصحاب الميمنة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و الذين كفروا بآياتنا قال: الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ و قال: المشأمة أعداء آل محمّد عليهم السلام نار مؤصدة اي مطبقة.)) (الحويزي، ١٤١٥: ٥/ ٥٨٤) وفي مكان آخر يقول إن أصحاب الشمال الذين يتحملون عبء ذنوبهم إما أنهم يحملون عبء ضلالهم مرة واحدة أو حمله مرتين، أي أنهم بالإضافة إلى عبء الضلال هم أيضا هم من يتحملون العبء من تضليل الآخرين. و ذلك قوله تعالى

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت /١٣)

كما يقول الله سبحانه تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام، ١٦٤) كما يقول الشيطان لأتباعيه عندما يعترضون عليه ويقولون له: أنت من ضللنا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (ابراهيم/٢٢). بالطبع، قد تم ذكر هذا الموضوع أيضًا في هذه الآية ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الاسراء/ ١٥).

٣ـ عباد الله المخلصين:

أما أولئك هم الذين لا يحضرون في المحكمة الإلهية ولا يحاسبون، بعبارة أخرى ((فهؤلاء قد استقروا في مستقر العبودية لا يملكون نفسا و لا عمل نفس فنفوسهم لله و كذلك أعمالهم فلا يحضرون و لا يحاسبون)) (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٠/ ١٥٢)

لكن عباد الله المخلصين هم الذين لا يحضرون على الإطلاق في محكمة العدل الإلهي لمحاسبة الأعمال؛ بل يدخلون الجنة بغير حساب؛ بعبارة أخرى ((هم لا يحضرون عند الله ولا يحاسب أعمالهم.)) (الطباطبائي، نفس المصدر، ١٥٢/٢٠) وهذا هو قول الله سبحانه وتعالي حيث يقول: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات /١٢٨-١٢٥). ويقول في سورة أخرى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات/١٦٠ـ ١٥٨). حسب الآيات التي ذكرت آنفاً نستنتج أن المخلصين لا يؤاخذهم الله يوم القيامة فيدخلون في الجنة علي الفور. والآن يجب أن نعلم: من هو المخلصين الذين يتعامل الله معهم هكذا؟

المخلصون هم الذين يئس الشيطان من تضليلهم واعترف بنفسه منذ البداية حيث قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص/ ٨٢- ٨٣) ويقول في آيات ٤٩ ـ ٣٨

من سورة الصافات: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

يستدل من الآيات السابقة أن الشيطان يستطيع أن يضلل البشر جميعاً ما عدا عباد الله المخلصين الذين هم في موقع العبادة الخالصة لكل افتراء وخداع، كما أنه يهتم بكل صفات المخلصين المخلصين ويقر باستنارتهم وروحانياتهم يئس من إغواءهم. (حسيني همداني، ١٣٦٣: ٣٦/٥) من النعم التي قد أعطي الله للمخلصين هي قاصرات الطرف التي قد ذكر المفسرون وجوهاً في بيان معناها. ويقول الطبرسي: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي وعندهم في هذه الجنان أزواج قصرن طرفهن على أزواجهن راضيات بهم ما لهن في غيرهم رغبة والقاصر نقيض المادّ يقال فلان قاصر طرفه عن فلان ومادّ عينه إلى فلان (الطبرسي، ١٣٦٠: ٨/ ٧٥٠) يقول السيوطي عن ((قاصرات الطرف)): الأصل (عفيفات) و عدل عنه للدلالة على أنّهنّ مع العفة لا تطمح أعينهنّ إلى غير أزواجهنّ و لا يشتهين غيرهم. و لا يؤخذ ذلك من لفظ العفّة. (السيوطي، ١٣٩٢: ٢/ ١٥٩) وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الذي يصلح أن يفسر به السابقون الأول قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (فاطر، ٣٢)، و قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: (البقرة: ١٤٨)، و قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾: (المؤمنون: ٦١).

فالمراد بالسابقين- الأول- في الآية السابقون بالخيرات من الأعمال، و إذا سبقوا بالخيرات سبقوا إلى المغفرة و الرحمة التي بإزائها كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾: الحديد: ٢١، فالسابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة و هو قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. و قيل: المراد بالسابقون الثاني هو الأول على حد قوله:

أنا أبو النجم و شعري شعري.

ولهم في تفسير السابقين أقوال أخر فقيل: هم المسارعون إلى كل ما دعا الله إليه،

وقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان و الطاعة من غير توان، و قيل: هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم مقدمو أهل الأديان، و قيل: هم مؤمن آل فرعون و حبيب النجار المذكور في سورة يس وعلي عليه السلام السابق إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وهو أفضلهم و قيل: هم السابقون إلى الهجرة، وقيل: هم السابقون إلى الصلوات الخمس، وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين، وقيل: هم السابقون إلى الجهاد، و قيل غير ذلك. و القولان الأولان راجعان إلى ما تقدم من المعنى، والثالث والرابع ينبغي أن يحملا على التمثيل، و الباقي كما ترى إلا أن يحمل على نحو من التمثيل. (الطباطبائي، ١٣٧٤: ١٩/ ١٩٩)

عن أبي جعفر عليه السلام قال السابقون أربعة ابن آدم المقتول و سابق في أمة موسى عليه السلام وهو مؤمن آل فرعون و سابق في أمة عيسى عليه السلام و هو حبيب النجار و السابق في أمة محمد صلى الله عليه وآله علي ابن أبي طالب عليه السلام. (الطبرسي، ١٣٦٠: ٩/ ٢١٥) بالطبع، يجب أن يقال أنّ هؤلاء الأشخاص هم أوضح الأمثلة علي السابقين المقربين لكن عمومية الآية لا تنطبق على هؤلاء الناس كما يؤكد حديث النبي صلى الله عليه وآله علي قولنا هذا حيث يقول:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُقْرِئُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ تَسْنِيمٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ قَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَ جَلَّ): ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. فَقَالَ: قَالَ لِي جَبْرَئِيلُ: ذَاكَ عَلِيٌّ وَ شِيعَتُهُ، هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، الْمُقَرَّبُونَ مِنَ اللَّهِ بِكَرَامَتِهِ لَهُمْ. (الطوسي، ١٤١٦: ١/ ٧٠) أما السابقين المقربين المذكورين في القرآن فهم ينتمون إلى نفس القسم (المخلصين). ويمكن أن يتبادر هذا السؤال إلى الذهن: ما الفرق بين السابقين المقربين والأبرار الذين هم من أصحاب اليمين؟ الجواب هو: أن الأبرار يواخذهم الله وهناك كتاب أعمالهم الذي يعطي إلى يده اليمني، بينما أن السابقين المقربين لا يؤاخذهم الله ويدخلون في الجنة علي الفور. إضافة علي ذلك، فإنّ درجاتهم في الجنة ليست مطابقة. إن الأبرار يشربون من التسنيم ممزوجاً بينما أن السابقين المقربين يشربون من التسنيم بحتاً صرفاً وبصورة نقية. وهذا قول الله سبحانه تعالى حيث يقول:

وَقَالَ أَبُو عَبْد اللَّه عليه السلام: ((مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ لِغَيْرِ اللَّه، سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ)). قَالَ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّه، مَنْ تَرَكَهُ لِغَيْرِ اللَّه؟ قَالَ: ((نَعَمْ، صِيَانَةً لِنَفْسِه)). وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، قَالَ: فِيمَا ذَكَرْنَا مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي يَطْلُبُهُ الْمُؤْمِنُونَ وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ وَ هُوَ مَصْدَرُ سَنَّمَهُ إِذَا رَفَعَهُ، لِأَنَّهُ أَرْفَعُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنْ فَوْقُ. قَالَ: أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ فِي عَالِي التَّسْنِيمِ، وَ هِيَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ، وَالْمُقَرَّبُونَ: آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، (الواقعة، ١٠ ـ ١١) رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وَ خَدِيجَةُ وَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ ذُرِّيَّاتُهُمْ تَلْحَقُ بِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور، ٢١) وَالْمُقَرَّبُونَ يَشْرَبُونَ مِنْ تَسْنِيمٍ بَحْتاً صِرْفاً، وَ سَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ مَمْزُوجاً. (البحراني، ١٤١٦: ٥/ ٦٠٩)

من النعم التي قد وعد الله للمقربين هو الروح والريحان. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة /٨٩-٨٨) الريحان بمعنى نفس النبات المعطر، ولكنه من النوع السماوي الذي يجيء به عند الموت وعندما يشم الإنسان يموت. وتفسير الآيات هو: إن كان المحتضر من المقربين فيكون جزاء حسناته البعد عن أي ألم وهمّ وغمّ وله رزق من الأرزاق السماوية وهناك جنة نعيم له بعد موته. (الآلوسي، ١٤١٥ ق: ١٦٠/٢٧)

بالطبع، هناك خلاف بين المفسرين حول هذا الموضوع: من هم المخلصون؟ يعتقد البعض أن هؤلاء هم الذين طهرهم الله من فساد الشرك وأبرأهم من أي خطيئة، سواء عن قصد أو بغير قصد. وبمعنى آخر، فإن المخلصين هم أئمة المعصومين الهداة. (كاشاني، ١٣٣٦: ٧١/٨). ولكن قسم آخر يعتقد بتطبيق المخلصين علي كل المؤمنين.

وبحسب ما ذكرناه من صفات المخلصين وكذلك الآية ٤٥ من سورة آل العمران التي ذكرت عيسى كواحد من المقربين، يبدو أن حقيقة كلام أولئك الذين ذكروا الصادق على أنه معصوم، أكثر دقة.

جدير بالذكر أن رئيس المحدثين الشيخ الصدوق ينقل عن أبي عبد الله عليه السلام ويقول: حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ جَعْفَرٍ الْحِمْيَرِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دُرُسْتَوَيْهِ عَنْ عَجْلَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ

اللَّه ﷺ قَالَ: ثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَ ثَلَاثَةٌ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَأَمَّا الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَإِمَامٌ عَادِلٌ وَ تَاجِرٌ صَدُوقٌ وَ شَيْخٌ أَفْنَى عُمُرَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَإِمَامٌ جَائِرٌ وَ تَاجِرٌ كَذُوبٌ وَ شَيْخٌ زَانٍ. (الشيخ الصدوق، ١٣٧٧/١٠٩:١).

الخاتمة:

وبحسب ما قيل آنفاً، فإن الناس يواجهون الموت بأشكال مختلفة حسب أسلوب حياتهم. أولئك الذين قضوا حياتهم في سبيل رضا الله، يلتقون بربهم على العرش، والله راض عنهم وهم راضون عنه ومسرورون منه ويتمتعون بنعم الله. وحسب أفعال الناس الذين لهم أعمال قبيحة سيئة، تكون هذه المواجهة شاقة ومروعة جدا وستجلب للظالم ضغط القبر وعذابه الذي هو عذاب برزخي، للظالم وهو عذاب المطهر، على الظالم، فيكون معه حتى يوم القيامة. بمعنى آخر، هذا العذاب جزء من عذاب يوم القيامة وعقابه. طبعا هذا الضغط وعذاب القبر هو من أجل تزكية البشر وتطهيرهم وجعلهم مستحقين لدخول في يوم القيامة. في ذلك اليوم، سينقسم البشر إلى مجموعات مختلفة، وسيكافأ كل منهم على أعمالهم وفقًا لأفعالهم.

وستظهر الجماعة التي عصت الله بأشكال مختلفة يوم القيامة وستُعاقب على أفعالها؛ والأشخاص الذين استمعوا لأوامر الله وعملوا بها سيُكافأون أيضًا على أعمالهم.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. ابوالفتوح الرازي، الحسين بن علي، روض الجنان و روح الجنان في تفسيرالقرآن، ١٤٠٨ ق، مشهد، بنياد پژوهش‌هاي اسلامى آستان قدس رضوى.
٢. آشتياني، سيد جلال‌الدين، كتاب معاد، ١٣٧٩، طهران، انتشارات اميركبير.
٣. الآلوسى، سيد محمود، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، بيروت ١٤١٥ ق ناشر: دارالكتب العلميه.
٤. البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان،١٤١٦ ق، طهران، بنياد بعثت.

٥. حسيني همداني نجفي، محمد، درخشان پرتوى از اصول كافى، ١٣٦٣ ش، الطبعة قم، الطبعةخانه علميه قم،

٦. الحويزى، عبد على بن جمعه، نور الثقلين، ١٤١٥ ق، الطبعة قم، انتشارات اسماعيليان.

٧. الراغب الاصفهاني، حسين، مفردات الفاظ القرآن الكريم، صيف ١٣٨١ ش، الطبعة الرابعة، طهران.

٨. الزمخشرى، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،١٤٠٧ق، بيروت، دار الكتاب العربي.

٩. السيوطي، جلال‌الدين، تفسير الجلالين، ١٤١٦ ق، الطبعة الأولى، مؤسسة النور للمطبوعات.

١٠. السيوطي، جلال‌الدين، اتقان في علوم القرآن، ترجمه سيد مهدي حائري قزويني، ١٣٩٢ ش، الطبعة العاشرة، مطبعة سبهر، طهران، مؤسسة انتشارات امير كبير.

١١. شعراني، ميرزا ابوالحسن، نثر طوبي، ٩٨ ه ق،١٣٧٤، الطبعة الثانية، دار الكتب الاسلامية.

١٢. الشيخ الصدوق، محمد قمي، الخصال، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ ش، طهران، انتشارات كتاب جي.

١٣. الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه، عيون اخبارالرضا، ناشر، ١٣٧٨ هـ، طهران، انتشارات جهان.

١٤. الشيخ الطوسى، الامالي، ١٤١٦، قم، دارالثقافة.

١٥. الطباطبايي، محمد حسين، تفسير الميزان، ترجمه موسوي همداني،١٣٧٤ ش، قم، دفتر انتشارات اسلامي.

١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع‌البيان في تفسير القرآن، ١٣٧٢ ش، الطبعة الثالثة، طهران، انتشارات فراهانى.

١٧. الطبري، ابوجعفر، جامع البيان، ١٤١٢ ق، بيروت، دارالكتب المعرفه.

١٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تبيان في تفسيرالقرآن، بيروت، دارالتراث العربي.

١٩. العلامة المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار، ١٤٠٣ ق، الطبعة الثالثة، بيروت.

٢٠. قرشي، سيد علي اكبر، قاموس قرآن، ١٣٧٦، طهران، دارالكتب الاسلامية.

٢١. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير قمي،١٣٦٧ش، قم، دار الكتاب.

٢٢. ٢٣. الكاشانى، ملا فتح الله، منهج الصادقين، ١٣٣٦ ش، كتابفروشي محمد حسن علمى.

٢٣. مكارم الشيرازي، ناصر، التفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، ١٣٧٤ ش، طهران، دار الكتب الإسلامية.